وقيل ما لكم لا تجعلون رجاءكم لله وتلقاءه وقارًا، ويكون على هذا منهم كأنه يقول: تؤدةً منكم وتمكنًا في النظر، لأن الفكر مظنة الخفة والطيش وركوب الرأس. انتهى.

وفي التحرير قال سعيد بن جبير: ما لكم لاترجون لله ثوابًا ولا تخافون عقابًا، وقاله ابن جبير عن ابن عباس.

وقال العوفي عنه: ما لكم لا تعلمون لله عظمة. وعن مجاهد والضحَّاك: ما لكم لا تبالون لله عظمة.

قال قطرب: هذه لغة حجازية، وهذيل وخزاعة ومضر يقولون: لم أرجُ: لم أبال. انتهى».

والملاحظ على بحث المفسرين الدلالة في الاقتباس السابق، أن مدار البحث كان دلالتي لفظي الرجاء والوقار. فأحيانًا يتجه التفسير إلى هذا وأحيانًا إلى الآخر، من دون بقية مكونات عناصر التركيب.

ذلك أن الغموض في النص هنا مصدره معنى كل منهما، فلا الرجاء ألف وقوعه على مفعول كالوقار ولا الوقار أمر يرجى، فهما طرفا الإشكال إن كشف الستار عن أحدهما انكشف عن الآخر.

فهل يكون المعنى: ينبغي أن تتوقعوا وقار الله أو تتوقعوا أن يوقركما رأى ابن عباس؟ وقد استبعدنا من قبل معنى الخوف.

ونتريث برهة عند جملة مجاهد والضحَّاك: ما لكم لا تبالون لله عظمة». وثمة فاصل بين معنى المبالاة ومعنى الخوف؛ والمبالاة أعمُّ، فقد تكون بالسلب كالخوف أو بالإيجاب كالرعاية والاهتمام وما إلى ذلك.

وكل خوف يعد نوعًا من المبالاة.

واللغويون عندما تناولوا لفظ الرجاء في سياق النفي قالوا: «وقد يكون بمعنى الخوف قال الشاعر: إذا لسعته النحل لم يرج لسعها أي لم يبال».

فهم سوَّوا بين المعنيين عند التطبيق، ولم يفرِّقوا، وإذ كان الأمر كذلك، فقد وقع إشكال كالذي بين أيدينا الآن في هذه الآية، على حين لم يقع في السياقات الأخرى على هذا النحو لأن الخوف في حقيقته نوع من المبالاة ولذا لم يلاحظ تناقض. واستصحاب معنى المبالاة عند قراءة آيات هذه المجموعة يوسع النطاق الدلالي للفظ الرجاء وترحب بذلك آفاق فهمنا إياه.